JIRS
EISSN: 2543-3636 * PISSN: 2543-3539 المجلد: 06، العدد: 02 (2021)، ص.ص39-53 مجلة إسهامات للبحوث الدراسات

أسس الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

Foundations of Reform at the Association of Algerian Muslim Scholars

مجوبي سليم فؤاد [1،*]

[1] الجامعة الإسلامية بمنيوستا،(الولايات المتحدة الأمريكية)، (Salimed5@hotmail.fr)

تاريخ الإرسال: 2021/10/30؛ تاريخ القبول: 2021/12/04؛ تاريخ النشر: 2021/12/31

الملخص: عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إصلاح المجتمع الجزائري إبان الفترة الاستعمارية، في مختلف المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية، مرتكزة في ذلك على أسس وقواعد واضحة. واعتمدت في مجال الإصلاح الديني على أربع أسس: 1-ترسيخ الإيمان وتحقيق العبودية لله، 2-ربط الجزائريين بالكتاب والسنة، 3-الاهتمام بالعلم وإعداد العلماء، 4-المحافظة على اللغة العربية وتعليمها. وقد بذلت الجمعية جهودا مباركة في تطبيق هذه المعالم مما كان له الأثر في الحفاظ على هوية الشعب الجزائري

الكلمات المفتاحية: جمعية، علماء، إصلاح، ديني، أسس.

Abstract: The Association of Algerian Muslim Scholars worked to reform Algerian society during the colonial period, in various religious, political and social fields, based on clear foundations and rules. And adopted in the field of religious reform on four foundations: 1 - consolidation of faith and achieve slavery to God, 2 - linking Algerians book and Sunnah, 3 - attention to science and the preparation of scientists, 4 - the preservation of the Arabic language and education. The Assembly has made great efforts in implementing these milestones, which have had an impact on preserving the identity of the Algerian people.

Keywords: Association, Scholars, Religious, Reform, Foundations.

* المؤلف المرسل

- مقدمة

لقد كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إبان الاستعمار الفرنسي جهود عظيمة في إصلاح الحياة العامة في المجتمع الجزائري، في جميع المناحي: الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وضربت في كل مجال بسهم، مرتكزة في ذلك على أسس وقواعد، بينت بعضها في قانونها الداخلي، وبعضها من خلال كلام علمائها وأعضائها وما كانت تنشره في المجلات والجرائد. وسأسلط الضوء في هذه المقالة على أهم الأسس التي بنت عليها منهجها الإصلاحي في المجال الديني.

الإشكالية:

هل ارتكزت جمعية العلماء في عملها الإصلاحي هل أسس وقواعد واضحة؟

ماهي هذه الأسس التي اعتمدتها الجمعية في مجال الإصلاح الديني؟

كيف عملت الجمعية على تطبيق هذه القواعد والأسس على أرض الواقع؟

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع في ما يلي:

-إبراز جهود جمعية العلماء المسلمين في إصلاح المجتمع الجزائري.

-بيان أن عملها في هذا المجال كان منظما ومنضبطا ومبنيا على قواعد ومعالم واضحة.

-الإصلاح في المجال الديني أساس للإصلاح في المجالات الأخرى.

-ضرورة الاهتمام بتثبيت عناصر الهوية الوطنية في كل عملية إصلاح مجتمعي.

وقد قسمت المقال إلى مقدمة، تضمنت عرضا للموضوع وبيان إشكاليته، وأهمية دراسته وبحثه، وإلى أربعة مطالب، وخاتمة.

المطلب الأول: ترسيخ الإيمان الصحيح وتحقيق العبودية لله وحده

المطلب الثاني: اتباع الكتاب السنة على فهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين.

المطلب الثالث: الاشتغال بالعلم وإعداد العلماء والمعلمين.

المطلب الرابع: الاهتمام باللغة العربية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

1. المطلب الأول: ترسيخ الإيمان الصحيح وتحقيق العبودية لله وحده

أخذت جمعية العلماء على عاتقها – منذ نشأتها – الدعوة إلى ترسيخ الإيمان الصحيح وغرسه في النفوس وتقوية تعلقها بالله وعبادته وحده، مقتفية في ذلك طريقة الأنبياء والمرسلين، الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا اعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:25]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: 36].

و«هذا الكتاب العزيز فاقرأ وتدبَّر، تجد السُّوَر مكيَّها ومدنيَّها، تُفيض القولَ في حديث المشركين الغابرين والمعاصرين، ولا تكاد تخلو سورة من هذا الحديث، ولا تكاد تجد غيره في سُوَر كثيرة...

ومن أسلوبه الحكيم جمعُه في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه، وإيضاحِ الشرك ودناياه، وبضدِّها تتميَّز الأشياء. وهذه أطوار البعثة من حين الأمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر إلى الأمر بإنذار العشيرة، إلى الأمر بالصدع بالدعوة، إلى الأمر بالهجرة إلى الإذن بالقتال إلى فتح مكة،إلى الإعلام بدنو الحِمام [(1)]، لم تخلُ من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشِّرك ومظاهره، ويكاد ينحصر غرض البعثة أولا في ذلك.

فلا ترك النبي (ص) التَّنديد بالأصنام وهو وحيد [2]، ولا ذهل عنه وهو محصورٌ بالشِّعب ثلاث سنوات شديدة[3]، ولا نسيهُ وهو مختفٍ في هجرته والعدو مشتد في طلبه [4]، ولا قطع الحديثَ عنه وهو ظاهرٌ بمدينته بين أنصاره[5]، ولا غلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة [6]، ولا شُغل عنه وهو يجاهد وينتصر ويكرُّ ولا يفرّ[7]، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرير عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك [8]، وهذه سيرته المدونة وأحاديثه المصحَّحة، فتتبَّعها تجد صدق ما ادَّعينا وتفصيل ما أجملنا»[9].

والدَّعوة إلى الإيمان الصحيح وتحقيق العبودية لله وحده من أهم الأغراض التي أُنشئت الجمعيّة من أجلها، ووجَّهت معظم نشاطها إليه، ومنتهى غايتها إذا وصلت إليه؛ ولذلك يقول الإبراهيمي: «إنّ الحدَّ الأخير الذي يحدِّده التاريخ لهذه الجمعيّة هو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون كلُّهم بهذا الوطن ولا مرجع لهم في التماس الهداية إلا كتاب الله وسنّة رسوله، ولا سلطان على أرواحهم إلا الله الحيُّ القيُّوم، ولا مصرِّف لجوارحهم وإرادتهم إلا الإيمان الصحيح تنشأ عنه الأعمال الصحيحة فتُثمر آثاراً صحيحة... يوم يصبح المسلمون متساوين في العبوديّة لله، لا يعبدون غيره ولا يدعون سواه ولا يُسلمون وجوههم إلا إليه، ولا يتَّخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله»[10].

وقال الطيِّب العقبي: «هذا، وإنّ دعوتنا الإصلاحيّة قبل كلِّ شيء وبعده هي دعوة دينيّة محضة ... وهي تتلخَّص في كلمتين: أن لا نعبد إلا الله وحده، وأن لا تكون عبادتُنا له إلا بما شرعه وجاء من عنده»[11].

ونشر العقيدة الصحيحة لا يتحقَّق إلا بتطهيرها وتخليصها مما علِق بها من شوائب الشِّرك والبدع، ممّا أحدثه في دين الله المحدِثون، وأشرك به مع الله غيرَه المشركون.

ولقد أدركت الجمعية هذا المبدأ فاهتمت به وجعلته نصب عينيها؛ فقد جاء في قانونها الداخليّ ما نصه: «والعقيدة الحقَّة لها ميزان دقيق وهو الكتاب والسنَّة. فإذا عرضنا أكثر عقائد النَّاس على ذلك الميزان وجدناها طائشة، فأيُّ سبيل نسلكه لتقويمها؟ إن اقتصرنا على بيان العقيدة الصحيحة واجتهدنا في إقامة الأدلَّة، فإنّ التَّأثير يكون قليلاً، لأنَّ النُّفوسَ قد اصطبغت بعوائد وتقاليد مستحكمة، والفِطَرَ قد فسدت بما لابسها من خرافات وأوهام. فالواجب إذن أن نبدأ بمحاربة تلك البدع والخرافات بطُرق حكيمة تقرُب من أذواق النَّاس، فإذا ماتت البدع والخرافات، وصَفَت الفطرُ من ذلك الشَّوب سَهُل تلقين العقيدة الصَّحيحة وتلقَّتها الأمَّة بالقبول»[12].

وليس الإرشاد إلى الخير النَّافع بأولى من التَّنبيه على الباطل الضارّ، بل كلاهما غرض حسن، وسَنن لا يعدل عنه السَّاعون في خير سنن[13]، ولا تثبت تحلية إلا عن سبق تخلية[14].

لقد تأسَّست الجمعيّة في وقت اشتدَّت فيه وطأة الاستعمار الفرنسي على الشَّعب الجزائري، وكان قد مرَّ على احتلاله للجزائر قرنٌ كاملٌ، ذاق فيه الجزائريّون ألواناً من العذاب، ومع هذا كلِّه كان من حكمة الجمعيّة الإعراضُ عن هذا الاستعمار الماديّ - في أوَّل الأمر - الذي يعتمد على الحديد والنَّار، وتوجيه ضرباتها إلى الاستعمار الرُّوحيّ الذي يمثِّله، المتَّجرون باسم الدِّين، المتعاونون مع الاستعمار الماديّ عن رِضى وطواعية، من أجل تجهيل الأمَّة لئلاَّ تفيق بالعلم، وتفقيرها لئلاَّ تستعين بالمال على التَّحرر، فكان من سداد الرأي وإحكام التدبير البدءُ بمحاربة الاستعمار الثَّاني؛ لأنّه أضرُّ خطراً وأهون دفاعاً.[15]

يقول ابن باديس: «وبعدُ، فإنَّنا اخترنا الخطَّة الدِّينيّة على غيرها عن علم وبصيرة وتمسُّكا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النُّصح والإرشاد وبثِّ الخير، والثَّبات على وجهٍ واحدٍ، والسير في خط مستقيم... ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسيّ لَدخلناه جهراً، ولَضربنا فيه المثل بما عُرف عنَّا من ثباتنا وتضحيتنا، ولَقُدْنا الأمَّة كلَّها للمطالبة بحقوقها، ولكان أسهلَ شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها، وأن نبلُغ من

نفوسها إلى أقصى غايات التَّأثير عليها؛ فإنّ ممَّا نعلمه ولا يخفى على غيرنا أنّ القائد الذي يقول للأمَّة: إنَّك مظلومة في حقوقك وإنَّني أريد إيصالك إليها؛ يجد منها ما لا يجده من يقول لها: إنَّك ضالَّة عن أصول دِينك وإنَّني أريد هدايتك، فذلك تلبّيه كلُّها، وهذا يقاومه معظمُها أو شطرُها، وهذا كلُّه نعلمه؛ ولكنَّنا اخترنا ما اخترنا لِما ذكرنا وبيَّنَّا، وإنَّنا – فيما اخترناه – بإذن الله لماضون وعليه متوكلون» [16].

وفي تقديم التَّصفية على التَّربية، والتَّخلية على التَّحلية يقول الإبراهيمي: «كان معقولاً جدًّا أنّ الإصلاح الدِّينيَّ لا يطمئنُّ به المضجع في هذه الدِّيار، ولا ترسخ جذوره إلا إذا مُهِّدت له الأرض ونُقِّيت. ولابدّ بعد وجود المقتضيات من إزالة الموانع. وموانع الإصلاح بهذه الدِّيار وعوائقُه هي طائفة أو طوائف، تختلف اسماً وصفةً، وتتَّحد رسماً وغايةً»[17].

ويذكر الإبراهيميّ أنّ الأوساط الإصلاحيّة تردَّدت في طريقة عملها بين رأيين:

الأول: توجيه الجهود إلى التَّعليم المثمر، وتكوين طائفة من المتعلِّمين مطبوعة بالطَّابع الإصلاحيّ علماً وعملاً، مسلَّحةٍ بالأدلّة، حتى إذا كثُر سوادها استُخدمت في الحرب على البدع وأهلها. وكان هو يميل في البداية إلى هذا الرأي.

الثاني: الهجوم على أهل الباطل والبدع، لأنَّ البدع والمنكرات قد تغلغلت في الأمَّة، فلا بدَّ من رجَّة عنيفة تصدِّع بنيانها وتُضعف في النُّفوس هيبة أهل الباطل.

قال: «وقد رجَح الرأيُ الثاني لمقتضياتٍ، لله من ورائها حكمة»[18].

ولقد عاب بعض الكُتّاب على الجمعيّة اشتغالَها بالردّ على المنحرفين في العقيدة وصرفَ الجهود والأوقات في ذلك، على حساب غيره من مباحث العلم والتَّعليم والأخلاق والصَّنائع، مقلِّلا من أهميّة عملها هذا؛ ولأمثال هؤلاء يقول الإبراهيمي: «وقد يظنُّ الظانُّون وتنطق ألسنتهم بهذا الظنّ، أنّ هذه المنكرات التي نحاربها ونشتدُّ في حربها هي قليلة الخطر، ضعيفة الأثر، وأنّنا غلونا في إنكارها، وأنفقنا من الأوقات والجهود في حربها، ما كان حقيقاً أن يصرف في ناحية أخرى أهمّ، كالإصلاح العلميّ؛ وفات هؤلاء أنَّ اللوازم القريبة لتلك المنكرات التي تشتدُّ الجمعيّة في محاربتها التزهيدُ في العلم وإفساد الفطر وفشل العزائم، وقتل الفضائل النفسيّة، وإزالة الثِّقة بالنَّفس من النَّفس، وتضعيفُ المدارك وتخدير المشاعر، وهي رذائل لا تجتمع واحدة منها مع ملَكة علميّة صحيحة، فكيف بها إذا اجتمعت. فكان من الحكمة أن تبتدئ الجمعيّة بتطهير النُّفوس من الرذائل، وأن تجعل مِن صرخاتها عليها نذيرًا للنَّاشئة أن تتلطَّخ نفوسهم بشيء من أوضارها»[19].

إذ «كيف يُخلص في عبادة ربّه من يعتقد أنّه لا يصلح هو لمناجاته، وأنّه لابدّ له من واسطة تقرّبه زلفى إليه، وأنّ تلك الواسطة تضرُّه وتنفعه، وتُشقيه وتُسعده، وتُعطيه وتمنعه... أم كيف تتهذَّب أخلاق من يعتقد أنّ كلَّ ما هو عليه من عوائد فاسدة هو من الدِّين ومن سنَّة المتقدِّمين، وأنّ من يريد إصلاح تلك العوائد من الملحدين.

... أم كيف يعمل لِعزّ أو ينتصر من بغي من يعتقد أنّ ذلَّه واستعباده ومهانته أمرٌ مقدَّر عليه لا يسَعه إلا الصَّبرُ عليه حتى يتمَّ أجلُه، أو يأتيَ المهديّ فيخلِّصه ... ويعتقد أنّ الأموات تتصرَّف له، وأنّها تدفع عنه كيد الظالمين وقوَّة الجبّارين، بل إنّها هي التي غضِبت عليه فجاءته بالبلايا وقادت إليه جيوش المحن، يتقدَّمها سيدي فلان ويسوقها سيدي فلان ...»[20].

هذا ما حمل المصلحين المجدِّدين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التَّوحيد وتخليصه من خيالات الشِّرك، فكتبوا الكتابات ونشروا المقالات في جرائد الجمعيّة كالشِّهاب والبصائر وغيرها، الأمر الذي زعزع

عقائد كانت تحسب من صميم الإيمان، ونسف صروحاً مشيَّدة من الخرافات والأوهام، ووضع الأساس للإصلاح الدينيّ في هذه الدِّيار، وزرع البذرة الأولى لتطهير العقائد والأفكار[21].

2. المطلب الثاني: اتباع الكتاب والسنة على فهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين.

من المعلوم أنَّ مصدر التلقِّي عند أهل السُّنَّة والجماعة هما الأصلان الأصيلان والموردان الصَّافيان، كتاب الله عزَّوجلّ وسنَّة رسول الله (ص) ، اللذَين أُمرنا بردِّ الأمور إليهما عند التنازع والاختلاف، قال تعالى(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[النساء: 59].

يضاف إلى هذين الأصلين أصلٌ ثالث، وهو اتِّباع منهج السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين وأئمَّة الدِّين، قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)[٦-٧]، وقال: (و من يعمل سوءا أو يظلم نفسه)[النساء:115]

وعلى هذه الأصول بنى العلماءُ المصلحون الجزائريُّون دعوتَهم، حتى قبل إنشاء جمعيَّتهم؛ بل اتِّفاقُهم عليها هو الذي مهَّد لإنشاء الجمعيّة.

يقول ابن باديس - رحمه الله -: "قد رأينا ونحن نخدم أمَّة مسلمة أن نسعى لتهذيبها من طريق الإسلام، ولم نشكّ قطُّ أنّ الإسلام ليس هو ما تمثِّله بسيرة مجموعها وأفرادها، وأنَّ الإسلام إنَّما هو في كتاب الله وسنَّة رسول الله (ص) وما كان عليه سلفُها من أهل القرون الثَّلاثة المشهود لهم بالخيريَّة على لسان الصَّادق المصدوق، فصمدنا ندعو الأمَّة إلى الرجوع إلى هذه الأصول وطرحِ كلِّ ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد"[22].

وكان من أهمِّ أعمال ابن باديس قبل تشكيل الجمعيّة، إنشاؤه لجريدة «المنتقد» التي عُطِّلت بعد فترة وجيزة، فأتبعها بجريدة «الشهاب» لينشر فيها أفكاره ومقالاته.

وقد جاء في هذه الجريدة التَّصريح الصَّريح بالدَّعوة إلى هذه الأصول العظيمة.

"إنّ من أهمِّ ما أُسِّست له هذه الصَّحيفة: الإصلاحَ الدِّيني وتطهيرَ العقائد من نزعات الشِّرك وباطل الخرافات ودحضَ أنواع البدع القوليَّة والفعليَّة [23]، والإشادةَ بلزوم الاهتداء بالكتاب والسنَّة وعمل السَّلف الصالحين، والأخذَ بكلِّ ما وافق هذه الأصول، والطّرحَ لكلِّ ما خالفها"[24].

ولمَّا أُنشئت جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين كانت الدَّعوة إلى هذه الأصول هي السِّمة البارزة في منهجها؛ فقد جاء في قانونها الدَّاخلي: "فالجمعيّة تريد أنْ ترجع بهذه الأمَّة - من طريق الإرشاد - إلى هداية الكتاب والسُّنَّة وسيرة السَّلف الصَّالح، لتكون ماشية في رقيِّها الرُّوحيّ على شعاع تلك الهداية"[25].

ولقد أوضح ابن باديس دعوة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وأصولَها في عدَّة نقاط؛ من بينها:

-الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله، وكمَّله على يد نبيِّه محمد (ص) الذي لا نبيَّ بعده.

-القرآن هو كتاب الإسلام.

-السنّة - القوليّة والفعليّة - الصَّحيحة، تفسيرٌ وبيان للقرآن.

-سلوك السَّلف الصَّالح - الصَّحابة والتَّابعين وأتباع التَّابعين - تطبيقٌ صحيح لهدي الإسلام.

-فهوم أئمَّة السَّلف الصَّالح، أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسُّنَّة..." [26].

وكان ابن باديس يُذكِّر بالسّير على هذه الأصول والدَّعوة إليها في فاتحة كلِّ سَنَةٍ جديدة من عُمر جريدته «الشِّهاب»؛ ومن ذلك ما جاء في فاتحة السَّنة الثَّالثة عشرة: "وسنخطو هذه الخطوة - إن شاء الله تعالى -

على ما عرفه النَّاس من مبدئنا في الإصلاح الدِّينيّ من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال، تصحيحاً وتهذيباً وتنويراً وتقويماً، كلُّ ذلك في دائرة الإسلام كما نزل به القرآن، وبيَّنته السُّنَّة، ومضى عليه - علماً وعملاً - السَّلف الصَّالح من هذه الأمَّة" [27].

ويقول الشيخ مبارك الميلي - رحمه الله -: "فالدَّاعي إلى الكتاب والسُّنَّة وتفهُّمِهما إنَّما هو داعٍ لتحقيق كلمتَيْ الشَّهادة، ولهذا نجد فيهما وفي كلام سلف الأمَّة الحثَّ على تعلُّمهما واتِّباعهما وتحكيمهما عند النِّزاع، والتَّحذيرَ من مخالفتهما وارتكابِ ما أنكراه على من تقدَّمَنا من مشركين وكتابيّين" [28].

يقول الشَّيخ العربي التَبسيّ - رحمه الله -: "فإنَّ الدَّعوة الإصلاحية التي يقوم بها دعاة الإصلاح الإسلاميّ في العالم الإسلاميّ عامّة، وتقوم بها «جمعيّة العلماء» في القطر الجزائريّ خاصّة، تتلخَّص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربّهم وسنَّة نبيّهم، والسَّير على منهاج سلفهم الصَّالح في أخلاقهم وعباداتهم القوليّة والاعتقاديّة والعمليّة، وتطبيق ما هم عليه اليوم من عقائدَ وأعمال وآداب على ما كان في عهد السَّلف الصَّالح، فما وافقه عدَدْناه من دِين الله فعمِلنا به، واعتبرنا القائم به قائماً بدِين الله، وما لم يكن معروفاً في عهد الصَّحابة عدَدْناه ليس من دين الله، ولا علينا فيمن أحدَثه أو عمل به؛ فالدِّين حُجَّة على كلِّ أحد وليس عمل أحد حُجَّةً على الدِّين..." [29].

وهاك وصيّة ابن باديس - رحمه الله - الجامعة، ونصيحته النافعة التي يقول فيها: "اعلموا -جعلكم الله من وعاة العلم، ورزقكم حلاوة الإدراك والفهم، وجمَّلكم بعزَّة الاتِّباع، وجنَّبكم ذِلّة الابتداع - أنَّ الواجب على كلِّ مسلم في كلِّ زمان ومكان، أن يعتقد - عقدا يتشرَّبه قلبه، وتسكن له نفسه، وينشرح له صدره، ويلهج به لسانه، وتنبني عليه أعماله - أنَّ دين الله تعالى - من عقائد الإيمان وقواعد الإسلام وطرائق الإحسان - إنّما هو في القرآن والسنّة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأنّ كلَّ ما خرج عن هذه الأصول، ولم يحظَ لديها بالقبول - قولا كان أو عملا أو عقدا أو حالا - فإنّه باطل من أصله، مردود على صاحبه، كائنا من كان، في كلِّ زمان ومكان.

هذه نصيحتي لكم ووصيَّتي أفضيت بها إليكم، فاحفظوها واعملوا بها، تهتدوا وترشدوا - إن شاء الله تعالى -؛ فقد تضافرت عليها الأدلة من الكتاب والسنّة وأقوال أساطين الملة من علماء الأمصار، وأئمة الأقطار، وشيوخ الزهد الأخيار، وهي - لعمر الحقّ - لا يَقبلها إلا أهل الدِّين والإيمان، ولا يردُّها إلا أهل الزيغ والبهتان" [30]

3. المطلب الثالث: الاشتغال بالعلم وإعداد العلماء والمعلمين.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي جمعية تعليميّة تهذيبيّة، لذلك فقد ألزمت نفسها - منذ إنشائها - بتعليم الجزائريّين - صغارا وكبارا - ونشر العلم في جميع ربوع الوطن، وإعدادِ العلماء الذين يقومون بتوجيه الأمَّة في دينها ودنياها، وحفظ مقوّماتها من لغة ودين وأدب.

ولقد جاء في قانونها الأساسي عِدَّة موادّ، تدلُّ على اهتماماتها بهذا الباب بدءًا من تعليم القراءة والكتابة والحروف، إلى محاربة الأمِّية، إلى التبحُّر في علوم الكتاب والسنة.

المادة 77: تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدريج في أهمّ مراكز القطر، ويحتوي برنامجها على تعليم الخطِّ العربي والنحو والصرف وحفظ القرآن مع تفهيم مفرداته، وضروريات الدِّين والأخلاق الإسلامية، وتختار من كتب التعليم أقربَها للإفادة، وتأخذ الأساتذة بتنفيذ ذلك البرنامج على وجه الدِّقَّة.

المادة 80: تحارب الجمعية داء الأمّية بكل ما تملك من قوّة. ومن وسائل هذه الغاية أن تُعنى بتعليم ما تستطيع من اليتامى الذين عُدِموا الكافل...

المادة 81: من غايات الجمعية النبيلة تأسيس كلية دينية عربية بمدينة الجزائر، تُدَرَّس فيها علوم الدِّين من وسائل ومقاصد، والغاية الكبرى من هذه الكلية هي تقريب العلوم التي يهاجر أبناء الوطن لتحصيلها في الأقطار الأخرى.

المادة 74: تُعنى الجمعية بترغيب أعضائها العاملين في اقتناء الكتب النافعة كأمَّهات التفسير والحديث وفقهه واللغة والأدب والأخلاق والتصوُّف العملي والتاريخ... [31]

وقد أوْلت الجمعيّة عناية كبيرة لمحو الأمّية لدى الصغار والكبار.

يقول الإبراهيميّ: "إنّي أظنُّ أنّ أوّل هيئة اجتماعيّة فكَّرت في محاربة الأمّية بصورة منظَّمة في هذا الوطن هي جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" [32]

"أمَّا الصغار؛ فإنّ المصل الواقي لهم من هذه العلَّة هي تلقينهم مبادئ القراءة والكتابة من الصغر..." وأمَّا الكبار؛ فإنّ "أهمَّ ما تعمله الجمعيّة في حقّ هؤلاء هو الجهود الفرديّة، فيجب أوّلًا أن تتقدَّم لكلّ أعضائها العاملين وتأخذ عليهم عهد الله وميثاقه على أن يُعلِّم كلُّ واحد منهم أمّيًّا أو أكثر من أقاربه مبادئ الكتابة والقراءة والعمليَّات الأربعة في الحساب، ويحفّظه سُوَرًا من القرآن على صحَّتها. وتتوسَّل الجمعيّة لهذا، بطبع حروف الهجاء مركَّبة ومفرَدة على صحائفَ من المُقوَّى، وبطبع الأرقام الحسابيّة كذلك، وبطبع سُوَر من القرآن بالحرف الغليظ، وبطبع جُمل تتضمَّن معانيَ مستقلَّة في العبادات والعقائد والفرائض..." [33]

ولقد اهتمَّت جمعيّة العلماء بإصلاح التعليم بنوعيه: المسجدي والمكتبي[34]، وتطوير أساليبه.

قال الإبراهيمي: "أمَّا في المسجد فطريقة الجمعيّة في الوعظ والتذكير هي طريقة السلف، تذكِّر بكتاب الله، تشرحه وتستجلي عِبَره، وبالصحيح من سنّة رسول الله ﷺ، تبيّنها وتنشرها، وبسيرته العمليّة، تجلوها وتدلُّ الناس على مواضع التأسّي منها، ثمّ سِيَر الصحابة وهديهم، ثم سِيَر حَمَلة السنّة النبويّة وحملة الهدي المحمَّدي في أقوالهم وأعمالهم كذلك..." [35]

وفي التعليم الابتدائيّ اعتمدت الجمعيّة على تلقين التلاميذ قواعد اللغة العربية في أسهل التراكيب وتمكينها بالتمرينات التطبيقية وإصلاح اللهجات التي حرَّفتها العامّيّة، وكذا تعليم القرآن الكريم والحديث والتفسير من كتب الحديث الصحيحة وأمَّهات التفسير. أمَّا الدروس الأخرى فتختار لها أقرب الكتب للإفادة وأبعدها عن الجمود والتعقيد. [36]

ولقد علِمت الجمعيّة أنّ صلاح الأمَّة بصلاح علمائها، وأنّ تكوين هؤلاء العلماء أساسه إصلاح التعليم.

قال ابن باديس: "لن يصلُح المسلمون حتى يصلُح علماؤهم... ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم... ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبويّ في شكله وموضوعه، في مادَّته وصورته، فيما كان يعلم (ص) وفي صورة تعليمه..." [37]

وإذا أُطلِق العلم والتعليم فالمراد به العلم الشرعي والتعليم الدِّيني - علم الكتاب والسنة -، وهذا لا يعني إهمال العلوم الدنيوية الأخرى، ولكنّ الأوَّل هو المقصود بالأصالة، وهذا الذي ركَّزت عليه جمعية العلماء جهودها. [38]

قال ابن باديس: "ونعني بالتعليم، التعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام، يأخذ عنه الناس دِينهم ويقتدون به فيه" [39]

ولذلك فقد شرَعت الجمعيّة منذ تأسيسها في إنشاء المدارس الحرّة وتطوير المكاتب القرآنية، حتى بلغ عدد المدارس في أواخر سنة 1948م مائة وثلاثين مدرسة ابتدائية مجهَّزة بكلِّ ما تحتاجه المدارس، يُلْقي فيها مائتان وخمسون معلِّما دروسَهم على نحو ثلاثين ألف تلميذ. [40]

كما أنشأت الجمعيّة دار الحديث بتلمسان ومعهد ابن باديس بقسنطينةوسَعت لدى الأزهر والزيتونة والقرويّين لاعتماده وقبول المتخرّجين منه، فكان لها ذلك.

وكان للجمعيّة اهتمامٌ بأبناء الجالية الجزائريّة بفرنسا، فتمكَّنت - بعون الله - من افتتاح أحد عشر ناديا في نواحي العاصمة باريس وأرسلت إليها عددًا من المعلِّمين لإلقاء دروس الدِّين وتعليم الصبيان. [41]

وجهود أخرى عظيمة يطول المقام بذكرها، كان الهدف منها الحفاظَ على هويّة الشعب الجزائري ودينه ولُغته، وإعداد العلماء العاملين الذين هم من الأمّة - كما يقول ابن باديس - بمثابة القلب، إذا صلح صلح الجسد كلُّه، وإذا فسد فسد الجسد كلُّه. [42]

يقول العقبي: "العلماء هم حملة هذا الدِّين، وهم المسؤولون عن تبليغه وهم الذابُّون عنه والمدافعون عن حِماه. فمن استمسك بغرزهم واهتدى بهديهم نجا، ومن صدَّ عنهم وأعرض عمَّا جاؤوا به ضلَّ وغوى."[43]

ويقول الإبراهيمي: "علماء الدِّين - إذا أصلحهم الله - هم حماة الدين حقّا، وهم المؤتَمنون عليه، وهم - إذا عافاهم الله من الجبن والطمع - حفظتُه وأنصاره، وأسماعُه وأبصاره، وهم - إذا سدَّدهم الله - نِباله وقِسِيُّه ، وحِباله وعِصِيُّه، وكلُّهم - إذا جمع الله كلِمتهم - غِفارُه ودَوسُه وخَزرجُه وأَوسُه" [44]

وهؤلاء هم أهل العلم الصحيح الداعون إلى التوحيد والسنّة "الذين يستمِدُّون فهومهم من عناصر الدِّين الأوَّلية، التي هي الكتاب والسنّة على مقتضى فهوم الأوَّلين من علماء الإسلام"[45]

وهؤلاء هم بحقٍّ ورثةُ الأنبياء؛ "فمن لا اطِّلاع له على كتب السنّة ولا خبرة له بأقوال علماء السلف لا يصحُّ أن يُعدّ من ورثة الأنبياء؛ لأنّ الإرث إنّما يدخُل فيما كانوا قائمين به"[46]

وهؤلاء هم الذين لا توجد في الإسلام وظيفة أشرف قدرا وأسمى منزلة وأعظم أجرا عند الله من وظيفتهم؛ لأنّهم وارثون لمقام النبوَّة وآخذون بأهمِّ تكاليفها وهو الدعوة إلى الله وتوجيه خَلقه إليه، وتزكيتهم وتعليمهم وترويضهم على الحقّ حتّى يَفهموه ويَقبلوه، ثمّ يعملوا به ويعملوا له. [47]

هؤلاء إذا الواحد منهم فُقِد، حدث في الإسلام ثُلمة لا تُسدّ، وكان ذلك إيذانا بقبض العلم ونقص الأرض من أطرافها. [48] وكان في ذلك ضررٌ على الإسلام وأهله.

قال الميلي: "إنّ الأمّة إذا فَقدت العالم البصير، والدليل الناصح، والمرشد المهتدي؛ تراكمت على عقولها سحائبُ الجهالات، وران على بصائرها قبائحُ العادات، وسهُل عليها الإيمان بالخيالات، فانقادت لعالِم طمَّاع وجاهل خدَّاع، ومرشِد دجَّال ودليل محتال، وازدادت بهم حَيرتُها واختلَّت سِيرتها، والتبست عليها الطرائق، وانعكست لديها الحقائق، فتتَّهم العقل، وتَقبل المُحال، وتشرُد من الصواب، وتأنس بالسراب... وفي مثل هذه الحالة جاء حديث الصحيحين [49] عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنّ رسول الله (ص) قال: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتّى إذا لم يُبقِ عالِما؛ اتَّخذ الناس رؤوسا جُهَّالا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»"[50]

وقد بين الشيخ مبارك الميلي وجوب احترام العلماء وتوقيرهم، وتحريم ثلبهم والطعن فيهم، فيما نقله عن ابن عساكر.

قال الميلي: "قال ابن عساكر في «تبيينه» ص (29): «واعلم يا أخي - وفَّقنا الله وإيَّاك لمرضاته، وجعلنا ممَّن يخشاه ويتَّقيه حقَّ تُقاته - أنّ لحوم العلماء - رحمةُ الله عليهم - مسمومة، وعادةُ الله في هتك أستار مُنتقِصِيهم معلومة؛ لأنّ الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمرُه عظيم، والتناولَ لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيم، والاختلاقَ على من اختاره الله منهم لنَعش العلم خُلقٌ ذميم، والاقتداءَ بما مدح الله به قول المتَّبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصفٌ كريم،إذقال مُثنِيا عليهم في كتابه - وهو بمكارم الأخلاق وضدِّها عليم(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[الحشر: 10]، والارتكابَ لنهي النبي (ص) عن الاغتياب وسبِّ الأموات جسيم(لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[النور: ٦٣]».[51]"

أمَّا علماء السُّوء فلا حقَّ لهم في ميراث النبوَّة، إذ "لا يستحقُّ هذا الميراث إلا من هو أهلٌ لوصفه والحكمِ له بالعلم، لا أولئك الذين سمَّوا أنفسهم علماء، وإن قعدَت بهم موانع الإرث في هذا الباب ممَّن اختار صراط المغضوب عليهم والضالِّين على صراط الذين أُنعم عليهم"[52]

هؤلاء هم الذين تركوا كتاب ربِّهم وسنّة نبيِّهم (ص) وتنكَّبوا صراط سلفهم، فاتَّبعوا أهواءهم، وأحدثوا في دِين الله ما لم يأذن به.

قال ابن باديس: "فالذين أحدثوا في الدِّين ما لم يعرِفه السلف الصالح، لم يَقتدوا بمن قبلهم، فليسوا أهلاً لِأَنْ يقتديَ بهم مَن بعدَهم. فكلُّ من اخترع وابتدع في الدِّين ما لم يعرفه السلف الصالح فهو ساقطٌ عن رُتبة الإمامة فيه"[53].

4. المطلب الرابع: الاهتمام باللغة العربية.

قال الإبراهيمي: "ها هنا معاقد الفخار لجمعيّة العلماء، وها هنا معارج الصعود إلى التي لا فوقها، وها هنا تنمحي الغضاضة من المدح، فيكون تقريرا من الحقيقة لنفسها، لا مدحًا من مادح...

إنَّ الشَّعب الجزائري... عَدَت عليه عوادي الدهر، فنسِي مجد العروبة، ولكنَّه لم يَنْسَ أُبوَّتها، وابتلاه الاستعمار - عن قصد - بالبلبلة؛ فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلا الضّاد، ولم يَبق من العروبة مع هذا وذاك إلا سماتٌ وشمائل، ولا من العربيّة إلا آيات ومخائل.

وجاءت جمعيّة العلماء، على عُبوس من الدهر، وتنكُّر من الأقوياء، فنفخت من روح العروبة في تلك الأنساب؛ فإذا هي صريحة، وسكبت من سرِّ البيان العربي في تلك الألسنة؛ فإذا هي فصيحة، وأجالت الأقلام في كشف تلك الكنوز فإذا هي ناصعة بيضاء، لم يزدها تقادُم الزمان إلا جِدة..." [54]

لقد عمِل الاستعمار الفرنسي بكلِّ ما أوتي من قوَّة على طمس اللغة العربية في الجزائر، ومحوِ كلِّ ما هو عربيّ، وسنَّ في ذلك القوانين [55]، وأجبر التعليم بالفرنسية، وجعلها لغة رسميّة، وضايق مدارس العربيّة ومعلِّميها.

ولقد فطِنت جمعيّة العلماء لمكائد الاستعمار؛ فعمِلت على إفشالها، وذلك بإحياء التعليم العربي وبثِّه في صفوف الناشئة، ونشره في كتاتيب القرآن، وإنشاء المدارس العربية الحرَّة التي لا تتبع للإدارة الاستعمارية، فقطعت في ذلك شوطًا رغم العراقيل والمعوِّقات.

كما شجَّعت الكُتّاب والمثقَّفين والمتعلِّمين على كتابة المقالات وإنشاء القصائد ونشرها في جرائد الجمعيّة، ولم تستسلم لِتهديدات الاستعمار وعقوباته وقوانينه الجائرة.

قال ابن باديس: "قد فهِمنا - والله - ما يراد بنا، وإنّنا نُعلن لخصوم الإسلام والعربية أنّنا عقدنا على المقاومة عزمَنا، وسنمضي - بعون الله - في تعليم دِيننا ولُغتنا، رغم كلِّ ما يصيبنا، ولن يصدَّنا عن ذلك شيء، فنكونَ قد شاركنا في قتلهما بأيدينا. وإنّنا على يقين من أنّ العاقبة - وإن طال البلاء - لنا، وأنّ النصر سيكون حليفَنا، لأنّنا قد عرَفنا – إيمانا - وشاهدنا – عيانا - أنّ الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما، ولو اجتمع الخصوم كلُّهم على محاربتهما"[56]

"وقد أشرفت هذه اللغة الشريفة على الاضمحلال بهذه الدِّيار لولا أن تداركتها جمعيّة العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه، فاستعادت على يدها شبابَها، ووصلت بسبب الدِّين الحنيف أسبابَها، وأصبحت الجزائر في مدَّة قليلة تُفاخر أمصار العربيّة الكبرى ومنابتها الأصليّة، بأدبها وكُتّابها وشعرائها وخطبائها"[57].

بل لقد كان إحياء اللغة العربية من أهمّ ما أُسِّست له جمعيّة العلماء.

يقول الإبراهيمي: "إنّ جمعيّتكم هذه أُسِّست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كلِّ عربي مسلم بهذا الوطن مكانةٌ لا تساويهما مكانة، وهما: إحياء مجد الدِّين الإسلاميّ وإحياء مجد اللغة العربيّة"[58]

إنّ اللغة من أهمِّ مقوِّمات الأمم وعناصر شخصيَّتها وأسباب عزِّها.

قال الإبراهيمي: "إنّ اللغة هي المقوِّم الأكبر من مقوِّمات الاجتماع البشريّ وما من أمَّة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها، واستتبع ضياعَ اللغة ضياعُ المقوِّمات الأخرى"[59]

وتمتاز اللغة العربية عن غيرها بأنَّها لغة الدِّين، لغة القرآن والسنّة، لغة العلوم الدينية والدنيوية -قبل أن يهجُرها أهلها ويَعقُّوها- لذلك؛ فإنّ إحياءها إحياءٌ للدِّين في نفوس أهله، وبيانَها بيانٌ لمحاسنه.

قال ابن باديس: "... لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه، ولا تعليم له إلا بتعليم لُغته..."[60].

وقال الإبراهيمي - مبيِّنا فضل اللغة العربية -: "لُغة الأمَّة هي ترجمان أفكارها، وخزانة أسرارها، والأمَّة الجزائرية ترى في اللغة العربية - زيادة على ذلك القدر المشترك - أنّها حافظةُ دِينها ومصحِّحة عقائدها ومدوِّنة أحكامها، وأنَّها صِلة بينها وبين ربّها تدعوه بها وتعترف، وتبوء بها إليه فيما تقترف، وتؤدِّي بها حقوقه، فهي لذلك تشدُّ عليها يد الضنانة [61]، وما تودُّ أنّ لها بها لُغات الدنيا وإن زخرت بالآداب وفاضت بالمعارف، وسهَّلت سُبل الحياة، وكشفت عن مكنونات العلم، فإن أخذت بشيء من تلك اللغات فذلك وسيلةٌ إلى الكمال في أسباب الحياة الدنيا، أمّا الكمال الروحانيّ والتمام الإنسانيّ؛ فإنَّها لا تنشده ولا تجِده إلا في لُغتها التي تكوَّن منها تسلسلها الفكريُّ والعقليّ، وهي لُغة العرب؛ ذلك لأنّ لغة العرب قطعةٌ من وجود العرب وميزة من مميِّزات العرب، ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة، فإذا حافَظ الزِّنجي على رطانته [62] ولم يَبغِ بها بديلا، وحافظ الصيني على زمزمته فلم يرضَ عنها تحويلا؛ فالعربيُّ أولى بذلك وأحقّ؛ لأنَّ لُغته تجمع من خصائص البيان ما لا يوجد جزءٌ منه في لغة الزِّنج أو لغة الصين، ولأنَّ لُغته كانت -في وقت ما- لسان معارف البشر، وكانت - في زمن ما - ترجمان حضاراتهم، وكانت -في وقت ما- ناقلةَ فلسفات الشرق وفنونه إلى الغرب، وكانت - في وقت ما - هادية العقل الغربيِّ الضالّ إلى موارد الحكمة في الشرق، وكانت -في جميع الأوقات- مستودع آداب الشرق وملتقى قياداته الفكريّة.

وما زالت صالحة لذلك، لولا غبارٌ من الإهمال علاها، وعاقٌّ من الأبناء قلاها [63]، وضيمٌ [64] من لُغات الأقوياء المفروضة دخل عليها، وهي - قبلَ وبعدَ كلِّ شيء - حاضنةُ الإسلام ودليلُه إلى العقول ورائده إلى الأفكار، دخلت به إلى الهند والصين، وقطعت به البحار والفلوات، وفيها مِن عناصر البقاء ومؤهِّلات

الخلود ما يرشّحها للسيطرة والتمكُّن، فقد احتوشتها [65]الرطانات من كلّ جانب، ودخلت عليها دخائل العُجمة واللّكنة، فما نال كلُّ ذلك منها نيلا؛ وإنّ لغةً يصيبها أقلُّ ممَّا أصاب اللغة العربية من عقوق أبنائها وحرب أعدائها لَحقيقةٌ بالاندثار والفناء، ولكنَّها لُغة العرب..." [66]

ويقول أيضا: "وأمّا إحياء مجد اللسان العربي، فلأنّه لسان هذا الدِّين والمترجِم عن أسراره ومكنوناته، لأنَّه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامَّة للبشر كلِّهم، لأنَّه لسان محمّد بن عبد الله ﷺ صفوة الله من خلقه، والمثل الأعلى لهذا النوع الإنسانيّ الذي هو أشرف مخلوقات الله، ولأنّه لسان تاريخ هذا الدِّين ومُجلِّي مواقع العِبَر منه، ولأنّه - قبل ذلك وبعد ذلك - لسان أمَّة شغلت حيّزا من التاريخ بفطرتها وآدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها..." [67]

لقد تذرعت الجمعية بكل ما أوتيت من وسائل للحفاظ على اللغة العربية في الجزائر، بدءً من دروس محو الأمّية، إلى تحفيظ القرآن في الكتاتيب، إلى تدريس علوم اللُّغة في مدارسها، إلى إلقاء المحاضرات والندوات وأسمار الأدب والشعر.

ولقد كان لهذا الجهد ثماره الظاهرة على العامَّة، كما يخبر عن ذلك الإبراهيمي بقوله: "إنَّ هذه الطبقات العامية التي تواظب على سماع الدروس والمحاضرات قد أصبحت تفهم العربيَّة الفصحى حقَّ الفهم بتأثير الممارسة والمران ... ولقد بدأتُ دروسي ومحاضراتي في تلمسان بالعربيَّة الفصحى وأخذتُ نفسي بذلك أخذًا أصِل به إلى درجة الإغراب أحيانا، وكان لي من وراء ذلك الالتزام غرضان:

- أحدهما إقامة الدليل للمتعلِّمين باللُّغات الأجنبيَّة على أنَّ الفصحى لا تعيا على حمل المعاني مهما تنوَّعت وعلت، وأنَّها تبُذُّ [68] اللغات في ميدان التعبير عن الحقائق والخيالات والخواطر والتصوُّرات، وقد بلغتُ من هذا الغرض ما أريد.

- والغرض الثاني أن أُحدث في نفوس العامَّة المحبِّين للعلم والدِّين أسفا يقضُّ مضاجعهم، فيدُعُّهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم.

... ومازلنا على هذا حتى فعل المِران فعلَه، وأصبحوا يفهمون ويذوقون ويخرجون وهم يتدارسون.

وقد رجعتُ إلى العامّية في بعض الدروس فاستهجنوها، ونَبَتْ عنها أذواقهم، وإنّي لا أدري لماذا لا نعجب للعامي يتعلَّم الفرنسية بالسماع، ونعجب – بل لا نكاد نصدق – له أن يتعلَّم العربيَّة بالسَّماع، مع أنَّ العربيَّة أقرب إلى عامّيته وفطرته وروحه ..." [69]

وقال ابن باديس: "حُوربت فيكم العُروبة حتى ظُنّ أن قد مات منكم عِرْقُها، ومُسخ فيكم نُطقُها، فجئتم بعد قرن، تَصْدَحُ بلابِلُكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤُكم بشقاشقها، فتدكُّ الحصونَ والمعاقلَ، ويهز كتَّابكم أقلامَها، فتصيب الكِلَى والمفاصل" [70].

"هذا بعض ما قدَّمته جمعيّة العلماء للعروبة من صنائع لهذا الوطن، تفخر به في غير منّ، وتجود به من غير ضنّ، ولولا الحياء لقالت أكثر من ذلك ولَتَحَدَّتْ كلَّ العاملين في الشرق العربيّ لرفعة العربية وإعلاء شأنها بين اللغات بأنّها عمِلت لها أكثر ممَّا عمِلوا؛ عمِلوا لها وهم أحرار آمنون، في بلدٍ لسانُه وجنسُه عربيّان وحاكِمُه ومحكومُه عربيّان، وعمِلنا لها تحت تأثير زمجرة الاستعمار ودمدمة أنصاره، وأنقذناها من بين أنيابه وأظفاره"[71].

- خاتمة:

تبين بعد هذا العرض:

-أن عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال الإصلاح الديني كان مبنيا على أسس واضحة، نصت عليها في قانونها الداخلي وكلام أعلامها.

-أخذت الجمعية في حسبانها المحافظة على مقومات الهوية الوطنية.

-علمت الجمعية أن الإصلاح الديني أساس غيره من الإصلاحات، فركزت معظم جهودها عليه، مع عدم إهمال المجالات الأخرى.

وأوصي الباحثين:

-بإبراز القواعد والأسس التي اعتمدتها الجمعية في المجالات الإصلاحية الأخرى.

-توسيع الدراسة إلى الحركات الإصلاحية الأخرى وجهودها الفردية أو الجماعية

كما أوصي العاملين في حقل الدعوة:

-بالاقتداء بطريقة جمعية العلماء في الإصلاح الديني.

-الاهتمام بالمحافظة على ثوابت المجتمع، مع الاستعانة بما استجد من وسائل حديثة، جمعا بين الأصالة والمعاصرة.

الهوامش و الإحالات:

(01) الحمام بالكسر: الموت. انظر: لسان العرب (1007/2)، والإعلام به في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة. انظر: تفسير ابن كثير (728/4).

(02) كان رسول الله (ص) يمشي في فجاج مكة وأسواقها ويقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». انظر: مسند أحمد (404/25 - الرسالة)، وتفسير ابن كثير (731/4).

(03) جاء في السيرة لابن كثير (51/2) في ذكر قصة الشعب والحصار فيه: «ورسول الله (ص) على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً منادياً بأمر الله تعالى لا يتَّقي فيه أحداً من الناس».

(04) فقد قال لأبي بكر وهما في الغار: «لا تحزن إن الله معنا»، و«ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، وفيه من التوحيد وقوة التَّوكل ما لا يخفى.

(05) كان (ص) يقول لأصحابه: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» الحديث. انظر: الصحيحة (634/2).

(06) بل في آخر حياته (ص) لم يدَع ذلك، كما في حديث جندب بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول – فذكر الحديث – وفيه: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك". وكما في حديث عائشة وابن عباس قالا: لما نُزل برسول الله (ص) (أي مرض الموت) طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذرما صنعوا. أخرجهما مسلم: ح (1188) و (1187).

(07) ومن ذلك ما جاء في خروجه إلى غزوة حنين حين قال له بعض أصحابه – وكانوا حدثاء عهد بكفر – اجعل لنا ذات أنواط، فقال (ص): «الله أكبر، إنها السنن (وفي رواية: سبحان الله) قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة...» الحديث. أخرجه الترمذي (2180) وصحّحه، وصححه الألباني في صحيح السنن، وفي ظلال الجنة (37/1).

(08) أخرج مسلم في صحيحه (ح 2400) من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله (ص) تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: « ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» (قالها ثلاثا). قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا...» الحديث.

(09) الشرك ومظاهره، للميلي: ص (44-45).

(10) آثار الابراهيمي: (138/1).

(11) جريدة السنة: (7/2).

(12) آثار الابراهيمي: (86/1)، من المادة (69) من القانون الداخلي للجمعية.

(13) الشرك ومظاهره، للميلي: ص (51).

(14) المصدر السابق: ص (89).

(15) انظر مجلة الثقافة: ع 87/ ص (23-24).

(16) جريدة الصراط: (4/15).
(17) سجل مؤتمر جمعية العلماء: ص (50).
(18) المصدر السابق.
(19) آثار الابراهيمي: (144/1)، وانظر: سجل مؤتمر جمعية العلماء: ص (61).
(20) جريدة الشهاب:(190/3-191).
(21) المصدر السابق (4/2).
(22) المصدر السابق: (3/2)
(23) في الأصل: «العبادات القولية والنقلية»، ولعلّ الصواب ما أثبته.
(24) جريدة الشهاب: (474/2)
(25) من المادة (66) من القانون الداخلي للجمعية، آثار الإبراهيمي: (84/1)
(26) آثار ابن باديس: (154/5)
(27) جريدة الشهاب: (3/13)
(28) الشرك ومظاهره، للميلي: ص (63-64)، وانظر كذلك ص (65) وما بعدها.
(29) تقديم لرسالة «الشرك ومظاهره»: ص (27).
(30) جواب سؤال عن سوء مقال، لابن باديس: ص (97-98)
(31) آثار الإبراهيمي: (87/1-88).
(32) سجلّ مؤتمر جمعية العلماء: ص (99).
(33) انظر التقرير الكامل عن الأمّية في سجل مؤتمر الجمعية: ص (94-103).
(34) المراد به التعليم الابتدائي في الكتاتيب.
(35) سجل مؤتمر جمعية العلماء: ص (64).
(36) المصدر السابق: ص (65-67).
(37) آثار ابن باديس: (74/4).
(38) انظر آثارا في فضل العلم وتعلُّمه في مجالس التذكير من حديث البشير النذير: ص (187) و (191-197).
(39) آثار ابن باديس: (74/4)
(40) انظر آثار الإبراهيمي (234/2)، وانظر في دور المدارس وأهميتها (430/2).
(41) انظر المصدر السابق: (442/2).
(42) آثار ابن باديس: (74/4).
(43) جريدة السنّة: (1/12).
(44) آثار الإبراهيمي: (420/3).
(45) الأعمال الكاملة للعربي التبسي: ص (190).
(46) المصدر السابق: ص (199).
(47) آثار الإبراهيمي: (109/4)، بتصرف يسير.
(48) ذكر ابن جرير في تفسير قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد: 41] بإسناده إلى ابن عباس قال: "ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها"، وبإسناده إلى مجاهد قال: "موت العلماء". تفسير الطبري (578/13-579).
(49) أخرجه البخاري في صحيحه: [كتاب العلم: باب كيف يُقبض العلم، (ح 100)] بلفظ: "يَبْق عالمٌ" بالبناء للمعلوم، ومسلم في صحيحه [كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه (ح 6737) نووي] بلفظ: "يترك عالمًا".
(50) الشرك ومظاهره: ص (161).
(51) المصدر السابق: ص (183).
(52) الأعمال الكاملة للعربي التبسي: ص (334).
(53) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، لابن باديس: ص (320).
(54) آثار الإبراهيمي: (57/3).
(55) ومن ذلك ما عُرف بقانون « 8 مارس» الذي يحظر على المعلِّمين إلقاء الدروس أو إنشاء المدارس أو النوادي أو الوعظ في المساجد إلا برخصة، وإلا غُرِّم المخالف وسُجن، والمقصود به طبعا علماء الجمعية. انظر: آثار ابن باديس (126/4) و(312/6).

(56) آثار ابن باديس: (128/4).
(57) آثار الإبراهيمي: (286/1).
(58) المصدر السابق: (133/1).
(59) المصدر السابق: (134/1).
(60) آثار ابن باديس: (126/4) بتصرف يسير.
(61) الضنانة: البخل. لسان العرب: (2614/4).
(62) الرطانة: لغة الأعاجم أيّا كانت.
(63) قلاها: أبغضها وهجرها. انظر لسان العرب (3731/5).
(64) الضيم: الظّلم. لسان العرب: (2629/4).
(65) احتوشتها: أحاطت بها، من قولهم: احتوش القوم فلانا: جعلوه وسطهم. انظر لسان العرب: (1049/2)
(66) آثار الإبراهيمي: (281/3-282).
(67) المصدر السابق: (134/1).
(68) بذَّ القوم يبذُّهم بذًّا: سبقهم وغلبهم. لسان العرب (مادة: بذذ)
(69) آثار الإبراهيمي: (149/1)
(70) جريدة البصائر: (ع 83/ص1)
(71) آثار الإبراهيمي: (58/3).

المصادر والمراجع:

1. ابن باديس، جريدة الشهاب. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1421/1هـ - 2001م.
2. ابن باديس، جواب سؤال عن سوء مقال. ت: أبو عبد الرحمن محمود. ط 1426/1هـ - 2005م.
3. ابن باديس، مجالس التذكير من كلام البشير النذير. وزارة الشؤون الدينية، الجزائر. ط 1/ 1403هـ - 1983م.
4. ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس. وزارة الشؤون الدينية، الجزائر. ط 1/ 1405هـ - 1984م.
5. ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. وزارة الشؤون الدينية، الجزائر. ط 1/ 1402هـ - 1982م.
6. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. مؤسسة الريان، بيروت. ط 1420/5هـ - 1999م.
7. أحمد الرفاعي الشرفي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي. دار اليُمن قسنطينة.
8. أحمد بن حنبل، المسند. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1416/1هـ - 1995م.
9. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1997/1م.
10. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة. مكتبة المعارف، الرياض.
11. البخاري، الجامع الصحيح. دار السلام، الرياض. ط 1417/1هـ - 1997م.
12. الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن. ت: عبد الله التركي. دار هجر.
13. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط 1426/1هـ - 2005م.
14. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة السنّة. دار الغرب الإسلامي، بيروت.
15. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة الصراط. دار الغرب الإسلامي، بيروت.
16. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجلّ مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. دار الكتب، الجزائر.
17. لسان العرب: ابن منظور. ت: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي. دار المعارف، القاهرة.
18. مبارك الميلي، الشرك ومظاهره. ت: أبي عبد الرحمن محمود. دار الراية، الرياض، ط 1422/1هـ - 2001م.
19. مجلة الثقافة: وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر. عدد 87، شعبان/رمضان، 1405هـ.
20. مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي. ت: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة، بيروت. ط 1417/3هـ.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

مجوبي سليم فؤاد (2021)، أسس الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مجلة إسهامات للبحوث والدراسات،المجلد06(العدد02)، الجزائر: جامعة غرداية، ص.ص 39-53.

يتم الاحتفاظ بحقوق التأليف والنشر لجميع الأوراق المنشورة في هذه المجلة من قبل المؤلفين المعنيين وفقا لـــ رخصة المشاع الإبداعي نَسب المُصنَّف – غير تجاري – منع الاشتقاق 4.0 دولي (CC BY-NC 4.0).

مجلة إسهامات للبحوث والدراسات مرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي نَسب المُصنَّف – غير تجاري – منع الاشتقاق 4.0 دولي (CC BY-NC 4.0).

The copyrights of all papers published in this journal are retained by the respective authors as per the **Creative Commons Attribution License**.
Ishamat Review of Research and Stadies **is licensed under a** Creative Commons Attribution-Non Commercial license **(CC BY-NC 4.0).**